مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية
Eissn :2602-5248 Issn : 2353-0456
المجلد 11 / العـدد: 1(2023) ص: 07- 22

التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي (القواعد والشروط)

Social education according to Malik bin Nabi (rules and conditions)

بوتلجة فازية[1]

[1] جامعة الجزائر 02 (الجزائر) faziabouteldja768@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/11/22 تاريخ القبول: 2023/01/02 تاريخ النشر: 2023/01/06

الملخص:

حظيت التربية منذ عصور قديمة باهتمام جميع الآباء و الأمهات و المربين و الفلاسفة و علماء الأخلاق، و كان البحث في شأن التربية و قواعدها و فنونها و ضوابطها و شروطها و أهدافها و أساليبها، مطروحا منذ أمد بعيد، وقد أدت التغييرات السريعة و المستمرة في شؤون الحياة، إلى زيادة ضرورة البحث في أساليب والطرق المثلى لإنجاح العملية التربوية خصوصا مع التحولات الكبرى التي شهدها العالم في ظل التطور الهائل لوسائل الإعلام والتكنولوجيا، ومن خلال استعراضنا لهذا المقال وجدنا أن التربية عملية فردية واجتماعية تتعامل مع فرد في مجتمع تنقل إليه معارف ومهارات ومعتقدات ،وتنقل لغة الجماعة من جيل إلي جيل ولا يمكن لهذه العملية أن تتم بمعزل عن الجماعة لأن الذات الإنسانية لا تتكون إلا في مجتمع إنساني، ونظرا لهذه الأهمية للتربية باعتبارها مسألة حيوية لازمة وضرورة اجتماعية فلقد زاد اهتمام الناس بها واشتدت الحاجة إلي دراستها والتعرف على أهميتها وكذا إبراز الغايات القصوى منها .

كلمات مفتاحية : مالك بن نبي ،التربية الاجتماعية،الفكرة الدينية ، المجتمع .

Abstract:

Since ancient times, education has received the attention of all fathers, mothers, educators, philosophers, and ethicists. Research on education, its rules, arts, controls, conditions, objectives, and methods has been on the table for a long time. The rapid and continuous changes in the affairs of Life, to increase the need to search for the best methods and methods for the success of the

educational process, especially with the major transformations that the world has witnessed in light of the tremendous development of media and technology, and through our review of this article, we found that education is an individual and social process that deals with an individual in a society to whom knowledge, skills and beliefs are transferred, The language of the group is transmitted from one generation to the next, and this process cannot take place in isolation from the group, because the human self is only formed in a human society. In view of this importance of education as a vital issue and social necessity, people's interest in it has increased and the need to study it and recognize its importance as well as highlighting its ultimate goals has increased.

Keywords: Malek Bennabi, social education, religious idea, society.

المؤلف المرسل :بوثلجة فازية

1.مقدمة

أردنا من خلال هذا البحث أن نسلّط الضوء على الفكر التربوي عند مالك بن نبي، وتوضيح المعني الحقيقي للعملية التربوية، على أنها رؤية فلسفية عميقة أكثر منها مشكلة مناهج ووسائل بيداغوجية،. فالتربية -من منظور مالك بن نبي- هي أداة معرفية وتطبيقية لتجسيد المشروع النهضوي للأمة الإسلامية.لذلك جاءت هذه المداخلة للوقوف على المعالم الرئيسية للفكر التربوي في المشروع الفكري النهضوي لمالك بن نبي، من خلال الكشف عن علاقة البنية الإجتماعية بالفكر التربوي، والصلة بين الثقافة والتربية في المجتمعات الإنسانية، ومكانة التربية موضعها في الفكر البنابيومن خلال العرض الموجز نطرح الاشكالية التالية: كيف استطاع مالك بن نبي أن يشخص المعني الحقيقي للتربية الاجتماعية من خلال ربطها بمراحل تاريخ الأمة الإسلامية ؟

2.التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي (القواعد والشروط)

1.2. مفهوم التربية الاجتماعية:إن المقصود بالتربية الاجتماعية هي تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتي يصبح الفرد صالحا للحياة في بيئتة الإجتماعية، (أحمد، 1996، صفحة 95)فالتربية الإجتماعية عند مالك بن نبي هو ذلك المنهج

الذي يهدي سير مجتمع ما، لأن عجلة المجتمع تدور بفضل شبكة العلاقات الاجتماعية. وقد راينا أن هناك انسجام بين شبكة العلاقات الاجتماعية في مجتمع ما وبين نظام رد الفعل لدى الفرد مما يوحي لنا بوجود علاقة ضرورية بين نطاق النفس الإنسانية من جهة ونطاق الزمن الإجتماعي من جهة أخري (مالك، ميلا د مجتمع، 2009، صفحة 75)

2.2- القواعد الأساسية للتربية الإجتماعية عند مالك بن نبي : يؤكد مالك بن نبي على أنه لبناء نظام تربوي وإجتماعي ينبغي أن تكون لدينا أفكار جد واضحة عن العلاقات والإنعكاسات التي تنظم استخدام الطاقة الحيوية على مستوى الفرد والمجتمع. فالتربية الاجتماعية السليمة، لا تستورد مفاهيمها وحلولها من مجتمعات أخرى، لأن المجال الإجتماعي ليس كمجال الميكانيكا. فمشكلات الإنسان ليست كمشكلات المادة، لأن الأفكار والمفاهيم التربوية جزء من محيطها الإجتماعي وقد تفقد قيمتها عند انفصالها عن ظرفها الاجتماعي ومع ذلك، يبقى الاقتباس ممكنا حسب اعتقاد (ابن نبي) إذا كان مناسبا. وقد ربط مالك بن نبي قواعد التربية الاجتماعية بمراحل تطور الدولة الاسلامية حيث يؤكِد أن التربية تتناسب تناسبا طرديا مع تطور الحضارة الاسلامية ،لأن تشخيص المرحلة التاريخية للمجتمع سوء كانت هذه المرحلة محكومة بعوامل الضعف أو القوة،فانها تشكل أساس مسار التربية الاجتماعية. وفي هذا الصدد يقول (ابن نبي) "إن التربية الاجتماعية لابد أن تنطلق من ضرورة تنظيم شبكة العلاقات الاجتماعية بما يتيح الانخراط في النشاط المشترك، كأساس يكسب المجتمع البشري صورته كمجتمع. فهو الذي يمنح التربية صفتها الاجتماعية." (مالك، ميلا د مجتمع، 2009، صفحة ص77) فالتربية الاجتماعية في نظره هي وسيلة فعالة لتغيير الإنسان الذي لم يتحضر بعد، (المقصود هنا انسان ما قبل الحضارة).لذا فإن تنظيم الطاقة الحيوية للفرد وتكييفها ضمن شبكة من العلاقات الاجتماعية والأنشطة المنبثقة عنها يعد أمرا لازم وضروري لأن القواعد العامة للتربية الإجتماعية يجب أن نستقيها من علم التاريخ وعلم الاجتماع وكذا علم النفس لأن شبكة العلاقات الاجتماعية تنتظم بهذه العناصر المذكورة ،ولا شك في أن المرحلة الاولي من مراحل الحضارة الإسلامية التي بدأت من ليلة حراء (مالك، ميلا د مجتمع، 2009،

صفحة ص77)(الى موقعة صفين سنة 36 هج الموافق للثالث من شهر نوفمبر سنة 656 موهي المرحلة التي تكونت فيها العناصر الأساسية للحضارة الإسلامية وفيها كان المسلم في أحسن طاقاته وفيها سادت الروح التي تعتبر العامل النفسي والرئيسي في تطور الامة الاسلامية (مالك، ميلا د مجتمع، 2009، الصفحات ص75-76) ويمكن تفسير اهمية العامل الروحي في تكوين الترل الاجماعية من جهة جهتين : جهة علم الإجتماع حيث نشأة الحضارة الإسلامية يتفق مع شبكة العلاقات الاجتماعية المتحدة والمتماسكة وهو ما يطلق عليه بالبنيان المرصوص وهو ما ورد في القران الكريم إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ (الصف، 1985، صفحة ص551،الاية 4) لكن بعد نهاية هده المعركة قض المسلمون على روحهم وعلى هيبتهم،وهو ما مهد لظهور المرحلة الثانية ففي هذه المرحلة فإن المجتمع الإسلامي يتمتع بشبكة علاقاته الاجتماعية لكن ثمة شوائب طفت على وجهه وبعض النقائص وهي الحالة التي كان عليها المجتمع العباسي ومعني هذا بلغة علم النفس أن نظام الأفعال المنعكسة في المجتمع الإسلامي الذي تعرض لنكسة صفين لم يعد يملك الطاقة الحيوية ليباشر وظيفته الاجتماعية. الاجتماعية. (مالك، شروط النهضة، 1979، صفحة ص57) إن الشيء الذي حدث في هذه الفترة أن جانبا من غرائزه لم يعد تحت رقابة نظام أفعاله حتي وان المجتمع يسير وفقا للسيرورة التاريخية لكن قوى الدولة الإسلامية لم تكن تساير هذه الحركة، فهناك جانبا من الطاقة قد مضي الى السكون وهو ما تمثله حركة المرجئة والخوارج قد ومضي الجانب الأخر إلى الهاوية كحركة القرامطة أصبح مجموع هذه الطاقات لم يعد يعمل والأخر يعمل في اتجاه مضاد، وهو ما مهد لظهور مرحلة الزوال أو كما الأفول وهي المرحلة التي تفككت فيها تفككت الدولة الإسلامية حيث أصبحت نفسية المسلم لم تعد تعمل بصفة منسجمة تمزق نفسيا كما تمزقت شبكة علاقاته الاجتماعية.وهو ما يطلق عليه بعصر الانحطاط (مالك، شروط النهضة، 1979، صفحة ص75انظر ميلاد مجتمع ص68)ومن أجل هذالكي يتم بناء نظام تربوي اجتماعي ينبغي أن تكون لدينا أفكار جد واضحة عن العلاقات والانعكاسات التي تنظم استخدام

الطاقة الحيوية في مستوي الفرد و المجتمع .وبهذا يمكننا أن نري هذا النشاط في حيويته حيث يمنح الفرد القدرة على التكيف ومن ثمة تنتقل هذه الحيوية إلى المجتمع وهذا بفضل شبكة العلاقات الاجتماعية .وبهذه الطريقة نستطيع أن نشهد بدور الدين في حيوية النشاط التربوي وهو يحقق عمله الاجتماعي حيث يخلق الشبكة الروحية التي تربط النفس بالإيمان بالله.فالتربية الاجتماعية تسوغ قواعدها من الجانب النفسي الروحي وكذا الجانب الاجتماعي (مالك، شروط النهضة، 1979، صفحة ص77)ولقد أدركنا مدى أهمية العنصر الروحي في تغيير الصفات النوعية الخاصة بالفرد إلى صفات إجتماعية التي تحدد معالم الشخص والتي تغيير الطاقة الحيوية المنطلقة من الغرائز إلى طاقة إجتماعيه خاضعة لمراقبة نظام الانعكاسات المتكونة لدي الفرد.وللعنصر الديني نصيب لأنه يعمل على تكوين نظام هذه الانعكاسات كما يعمل على تكوين شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك (مالك، شروط النهضة، 1979، صفحة ص78).

.فالتربية الفعلية تتم في أماكن عديدة منها المنزل والمدرسة وفي دور العبادة، وتحت تأثير الصحافة والإذاعة والثقافة الوطنية كما أنها تتم في أزمنة مختلفة وتحت تأثير قوى متعددة يكون في بعضها الأب معلما وفي بعضها الآخر يكون المدرس معلما والثالث يكون رجل الدين معلما والرابع يكون القريب معلما .وهي تتم حيثما وجدت عناصرها من معلم ومتعلم وموقف تعليمي وهذه المؤسسات تعرف " بمؤسسات التنشئة الاجتماعية " أو " وكالات التنشئة الاجتماعية" باعتبارها وسيطا بين المجتمع والأفراد وتعد الأسرة والمدرسة من أهم هذه المؤسسات في التنشئة الاجتماعية (حسان، 1993، صفحة ص209)وعن أهم العوامل الاساسية التي تساعد على نجاح التربية الاجتماعية نجد:

1.1.2 الأسرة:تعتبر الأسرة نواة المجتمع وهي الأصل الذي نشأت عنه جميع المؤسسات الاجتماعية الأخرى فهي أسبق المؤسسات ظهورا ،وهي ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري ودوام الوجود الاجتماعي (النجيحي، 2002، الصفحات ص135-140)تحمل الأسرة مسؤولية خطيرة تجاه المجتمع باعتبارها أول مجال تربوي يتواجد فيه الطفل ويتفاعل معه ففيها ينال الفرد مقومات نموه العقلي

والجسمي والصحي، ومنها يستقي عاداته وتقاليده وقيمه ويتعلم التعاون والتضحية والوفاء والصدق والعطف على الآخرين واحترامهم ،وتشكل الأسرة بوضعها الراهن إحدى المنظمات الاجتماعية التي يوكل إليها القيام بتربيةالطفل منذ لحظة ميلاده وذلك راجع إلى الوظائف العديدة للأسرة التي تحقق للطفل من خلالها إطارا مرجعيا يستعين به في تفاعلاته الاجتماعية وعلاقاته الشخصية داخل وخارج الأسرة.

2.1.2 المدرسة:تعتبر المدرسة جزء لا يتجزأ من النظام الاجتماعي السائد، ولهذا فقد إهتم المربون اهتماما كبيرا بمشكلة تكامل المدرسة مع الحياة الاجتماعية والتربية على هذا الأساس عليها أن تختار القوى العلمية والتكنولوجية والثقافية الجديدة التي تحدث التغير في النظام القديم وتبحثها وتقدرها وتقوم بأدوارها ونتائجها وأن تجعل من المدرسة الحليفة الأولى للوصول إلى هذه النتيجة.ومعنى هذا أن التربية عامل هام من عوامل التغيير الاجتماعي والتربية عندما تعكس التطور الاجتماعي في المجتمع إنما تساعد عملية انتشار المخترعات الجديدة على أداء وظيفتها، فإذا كانت التغيرات التكنولوجية قد دخلت المجتمع الحديث فإن انتشارها يحتاج إلى أن نعد للمصانع مثلا العمال والمهندسين اللازمين للقيادة، (الخطيب، 1993، صفحة ص103) والتربية تقوم بهذه المهمة عن طريق المدرسة التي هي المؤسسة التربوية المقصودة كما تستطيع المدرسة كذالك.أن تتعدى هذا الدور، فتبشر بالتغير الاجتماعي، وتعمل على توجيه الأنظار إليه وإعداد العقول له وهي بذلك تعد الأفراد لكي يقوموا بدورهم في إحداث التغير، إذ إنهم يخرجون من المدرسة وقد اكتسبوا اتجاهات عقلية معينة يواجهون بها مجتمعهم، فيعملون على القيام بمسؤولياتهم في تغييره وعلى هذا تستطيع المدرسة أن تسهم في بناء مجتمع جديد. وكذا المحافظة على عقل الفرد واتزانه،كما تساعده على ما يجري حوله في العالم الذي يعيش فيه. لان الفرد عندما يكون على معرفة بما يجري حوله فإنه يستطيع أن يشخّص الظروف والمشكلات التي تواجهه.

3 الشروط الأولية للتربية الاجتماعية.

3-1 الشروط النفسية:

1-1-3 إعادة بناء الانسان: يرى مالك بن نبي انه من بين الشروط الأساسية لتأسيس التربية الاجتماعية ونجاحها هو إعادة بناء الانسان الطبيعي وان نصنع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين (التراب – الوقت) والمواهب في بناء أهدافهم لأن المشكلة التي نوجهها هي مشكلة الرجل الذي يرضي بالقليل من الأشياء .يحمل في نفسه روح الهزيمة والاستسلام عاش حياته في المدينة لكنه ليس متحضر لذا فقد اصبح من الضروري بل ومن المستعجل أن نأخذ بعين الإعتبار بناء الانسان لأنه العنصر الفعال في بناء الأسس الصحيحة للتربية كما له دور فعال في تركيب الحادثة التاريخية. ولكي يتم بناء الفرد يجب التركيز على نواحي ثلاثة وهي , فكرة التوجيه أولا ومن ثمة توجيه الثقافة –توجيه العمل –توجيه رأس المال لأنه باستقامة هذه النواحي يستقم الفرد فعملية البناء لاتتم في لحظة ما أوفترة زمنية معينة بل تستدعي وقتا لذا نجده قد ركز على أهمية الوقت وضرورة استغلاله وهذا ما يلخصه لنا في فكرة التوجيه

. **2-1-3 فكرة التوجيه:**فكرة التوجيه بصفة عامة عند مالك بن نبي هو تجنب الاسراف في الجهد وفي الوقت فهنالك الملاين من السواعد .العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية لم تستغل احسن استغلال فكم من طاقة وقوي ذهبت عبثا ولم تستخدم في اطارها المميز

3-1-3التوجيه الثقافي : انطلق مالك بن نبي من فكرة انتقاده لمفهوم الثقافة التي يربطها البعض بسعة الاطلاع لأن المفهوم الحقيقي للثقافة نظرية في السلوك اكثر من أن تكون نظرية في المعرفة لذا نجده يعرف الثقافة كما يلى (مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته والثقافة على هذا هي النمط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته)نستنتج من هذا التعريف أن الثقافة تظم في مفهومها فلسفة الانسان وفلسفة الجماعة معناه معطيات الانسان ومعطيات المجتمع مع الاخذ بعين الاعتبار ضرورة انسجام هذه المعطيات في كيان واحد .كما يعتبرها كذالك أنها

ذلك الجسر الذي يعبر به الانسان ليصل إلى الرقي,او ذلك الحاجز الذي يحفظ بعظهم الاخر من السقوط من اعلى الجسر,فهي تشمل في معناه العام بين كل أطياف طبقة المجتمع بما فيه العالم وراغي الغنم وهي تهتم في معناها بكل طبقة

من طبقات المجتمع بما يناسبها من وظيفة تقوم بها ,ولهذا فان الثقافة تتدخل في شؤون الفرد وفي بناء المجتمع ولتوضيح الفكرة اكثر حول وظيفة الثقافة في المجتمع يضرب لنا مالك بن نبي مثال حول وظيفة الدم فهو يتركب من الكريات الحمراء و البيضاء وكلاهما يسبح في سائل البلازما ليغذي الجسم كذلك بالنسبة للثقافة هي ذلك الدم في جسم المجتمع يغذي حضارته كل هذه الأفكار تسبح في سائل واحد من الاستعدادات والاتجاهات الموحدة والاذواق المناسبة. (نبي، 1979، صفحة ص78)

4-1-3 التوجيه الأخلاقي : سبق وأن شرحنا في العنصر السابق معني التوجيه الأخلاقي من زاوية البناء الحضاري, اما من الجانب التربوي فنحن نبين كيف ان الاخلاق تساهم في تكوين الصلات الاجتماعية وهذا عن طريق خلق قوة التماسك الضرورية للأفراد في المجتمع وهذه القوة مرتبطة فيما بينها بالغريزة لكن بعد تهذيها وتوظيفها بروح خلقية سامية (مالك، شروط النهضة، 1979، صفحة ص85) وهي الفكرة التي أشار اليها الفيلسوف عبد الرحمن ابن خلدون)في كتابه المقدمة حيث اطلق عليه اسم العصبية في الفصل الثالث عشر حيث بين ان الناس معادن والمعادن تختلف باختلاف الانساب التي تتأسس على العصبية ففي نضر ابن خلدون وبقدر ما تكون العصبية قوية يكون الحسب والشرف لانهم الاصلين في اهل العصبية وهم ثمرة النسب وتفاوت البيوت يكون بتفوت العصبية لأنها سرها,أما عن الامصار فبيوتهم على المجاز (خلدون، صفحة ص126 الفصل الثالث)

يضرب لنا مالك بن نبي مثال عن دور الاخلاق والتربية في تماسك المجتمع فجمعية رعاية الأطفال في فرنسا كانت لأول مرة عبارة عن مبادرة قام بها فإنسان دي بول)الذي انشا مشروع الأطفال المتشردين ثم تحولت الى جمعية لرعاية الأطفال لكن اصلها الحقيقي كانت فكرة دينية ذات اصل مسيحي،فلولا وجود الصلات الاجتماعية واستعدادات نفسية لما كان هناك انتاج., حتي روح الإسلام خلقت من عناصر متفرقة كالأنصار والمهاجرين وأسست لأول مجتمع إسلامي وحينما نتكلم عن الإسلام نتكلم عن الإسلام المتحرك في عقولنا وليس في مظاهرنا

والمنبعث في صورة اسلام اجتماعي حيث قوة التماسك التي ولدت حضارة على أرض قاحلة وسط البدو مع رجل الفطرة (مالك، شروط النهضة، 1979، صفحة ص96).

3-1-5التوجيه الجمالي

إن الذوق الرفيع من العناصر الإيجابية في الثقافة،فالتناسب والتناسق في الإشكال والأشياء يعطي للإنسان راحة نفسية وقد كان مالك بن نبي دائما يشجع الناس على النظافة والاهتمام بالمظهر الحسن وخاصة في المساجد وأيام العيد (مالك، شروط النهضة، 1979، الصفحات ص94-98).فالجمال الذي يتجسد في الألوان والأصوات والروائح والأشكال يوحي للإنسان بالأفكار ويطبعها بطابعه الخاص من الذوق الجميل، ويجد في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل لأن المجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة،نجد انعكاساتها تظهر في أفكاره وأعماله ومساعيه ولنحتكم بأبسط مثال لتحديد معنى الجمال ومدي تأثيره على تكوين شخصية الفرد،فلننضر إلى هيئة الطفل عندما يرتدي الثياب القذرة التي إن شئنا وصفها لقلنا إنها ثياب أحيكت من القاذورات والجراثيم، والتي تقتله ماديا ومعنويا لان هذا المظهر لا يعبر عن حالة الفقر بقدر ما يعبر عن مظهر من مظاهر التفريط في الحياة،أما في المجتمعات المتقدمة فإننا نرى الجمال نفسه سواء في الشوارع أوفى المحلات أو في طريقة الأكل واللباس ولعل هذا التنظيم لم يأت عن طريق الوحي أو الصدفة،بل كل شيء في هذه الدول مدروس بصفة مضبوطة ومحكمة،وخير دليل على ذلك تلك الأوامر والقرارات التي صدرتها بريطانيا تلزم سكانها بضرورة مراعاة نظافة مدنهم وشوارعهم ومن يخالف ذلك فهو مهدد بدفع غرامة مالية وقد طبقت القانون نفسه روسيا حيث فرضت غرامة مالية على كل شخص يبصق في الأرض أو يلقي بأعقاب السيجارة على الرصيف أو يعلق ملابسه في الشباك المطل على الشارع أو يلصق الإعلانات على الجدران .وأيضا الغرامة تشمل كل من يركب السيارات العامة بملابس العمل المستحة .فهي إجراءات تبدوا بسيطة إلاأنها تحمل الكثير من المعاني والعبر، لأن الإطار الحضاري بكل محتوياته متصل بذوق الجمال ،بل إن الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أية حضارة، فينبغي أن نطبقه على نفوسنا وأن نجسده في شوارعنا وبيوتنا ومقاهينا،

إن الجمال هو وجه الوطن في العالم، فلنحافظ على وجهنا لكي نحفظ كرامتنا ونفرض احترامنا على جيراننا الذين ندين لهم بالاحترام (مالك، شروط النهضة، 1979، الصفحات ص94-98).

2-3 الشروط الاجتماعية: تتغير المجتمعات وتتطور ويصيبها التجديد في النواحي المادية والاجتماعية خاصة في هذا العصر الذي نعيش فيه ، ولما كانت التربية وسيلة أساسية لزيادة العناصر الثقافية الجديدة، ووسيلة المجتمع أيضا للقضاء على المشكلات الاجتماعية، فإن علاقة التربية بالتغير الاجتماعي علاقة متبادلة لا نستطيع الاستغناء عنها.حيث يرى مالك بن نبي أنه لا يمكن تطبيق نفس شروط التربية الاجتماعية في مجتمعات مختلفة ومتنوعة ولا يمكن بناء منظومة تربوية تستقي براهينها من الخارج (مثل التجربة الفاشلة التي ارادت ان تطبقها وزيرة التربية الوطنية في الجزائر حينما اعتمدت على التجربة الفرنسية هي الاتفاقية التي تهدف الى تكوين مفتشين واطارات في اطار الإصلاحات التي انطلقت في تكوين المكونين

بنفس الأدوات البيداغوجية الفرنسية وقد لقت هذه الاخيرة استهجانا واستنكار واسعا على الساحة السياسية وعلى راسها جمعية العلماء المسلمين التي استنكرت هذه الإصلاحات في ضل أجواء تتسم بالضبابية وبمحتوي مجهول(جريدة الصوت الاخر :الصادرة يوم الاحد 10ابريل 2016)

إن هذه الإصلاحات التي تحدث غالبا في البلاد الإسلامية والتي تعتمد على حلول مستعارة من بلدان متحضرة فإنها لاتحدث عندنا نفس التأثير لأنها تفقد نشاطها وحيوتها في الطريق وهذا طبقا لمجموعة من المعطيات التي تتعلق بطبيعة وانماط المجتمعات،لأن عناصر الإصلاح تمثل جزء من المحيط الاجتماعي الذي نعيش فيه وهي أفكار يفرضها الواقع وللتوضيح اكثر لدينا الصيغة الكيميائية للماء والتي نعرفها جميعا وهي **h2+1/2 o2**معناه الهيدروجين 2+اوكسجين الناتج هو الماء،لنفرضأن أحدا قام باقتباسها كما هي ليطبقها في صناعة الماء فانه لا يصل الى شيءلأنه اثناء التطبيق ينقصه عنصر جوهري هو المركب الذي لم تعبر عنه الصيغة والمقصود هنا بالمركب هو الطاقة التي يجب ان تتحد بين الجزئيات التي

يتشكل منها الاكسجين فالمعادلة صحيحة من ناحية التركيب ولكنها غير قابلة للتطبيق (مالك، ميلا د مجتمع، 2009، الصفحات ص102-103-104)

إن جميع أنواع الحلول ذات الصيغة الاجتماعية التي نستوردها من بلدان أخري تشبه الصيغة الكيمياوية التي اشارنا إليها هي صحيحة من ناحية التركيب ولكنها تقتضي عند التطبيق عناصر مكملة لها وهي الطاقة التي لايمكنأن تأتي مع هذه المعادلة بل نقتبسها من المحيط الاجتماعي. (مالك، ميلا د مجتمع، 2009، الصفحات ص105-108)

3.3 دور الطاقة الحيوية في بناء التربية الاجتماعية

أولا تحديد المفاهيم :

يراد بالطاقة الحيوية BIONERGIE كل اشكال الطاقة المخزنة في الكتلة الحيوية مثل الخشب الذي يحتوي على الطاقة الخشبية التي هي نوع من الطاقة للوقود الحيوي،والطاقة الحيوية هي طاقة متجددة مشتقة من الكتلة الحيوية و.كل شيء في هذه الحياة له طاقة وله تأثير على جسم الإنسان، لان هذا الجسم ليس جسما ماديا فقط بل يحيطه مجال كهرومغناطيسي بسبب وجود الأعصاب، كل هذا يولد مجالا كهربائيا ومجالا مغناطيسيا وأشار إلى أنه إذا كانت هناك طاقة سلبية في منطقة الجسم ، تحديدا في منطقة الحلق أو الرقبة، فهذا النوع من الطاقات نسميه بالطاقات المدمرة تجعل الخلايا تموت بشكل أسرع، فيظهر لدى هذا الشخص مشاكل وقصور في الغدة الدرقية (الفقي، 2001، صفحة ص40 ،ص111)وقد اسقط مالك بن نبي فكرته على الفرد الذي يملك هذه الطاقة المخزنة فيه التي عادة ما تكون طاقة خامة لتوضيح دور الطاقة في المجتمع ننطلق من ماهو بسيط لنفترض أننا الغينا على سبيل المثال أحد أشكال الطاقة الحيوية كالتي تتعلق بالدافع الغذائي أو الدافع التناسلي أو دافع التملك، فان جميع الإمكانيات البيولوجية للحياة الاجتماعية سوف تلغي دفعة واحدة.واذا افترضنا أن حدث العكس وهو تحرير هذه الطاقة من كل قيد فإن النظام الإجتماعي سيختل أيضا، ففي هذه الحالة فان الفرد يجد نفسه أمام قانون الإنتخاب الطبيعي. ولهذا نستنتج أننا عندما نلغي الطاقة الحيوية فإنناهدمنا المجتمع،وعندما نحررها تحريرا كاملا فإننا نهدم المجتمع كذلك،لذا يجب على الطاقة الحيوية ان تعمل

بالضرورة طبقا لهذين الحدين،وإذ بحثنا عن السلطة التي تخضع لها الطاقة الحيوية التي تضمن هذه الحدود نجد انها مرتبطة ارتباطا جوهريا بالعوامل التي لها دور في وجود الحضارة ومرتبطة بالدور الأساسي الذي يلعبه في تحويل مجتمع ماقبل التحضر إلى مجتمع متحضر ففي الحالة الاولي (قبل التحضر)الطاقة الحيوية خامة خالية من مبادئ الالزام الاجتماعي،حينما تحول المجتمع البدايءإلى المجتمع الحضاري فكان ذلك بفضل الفكرة الدينية التي طوعت وأظهرت الطاقة الحيوية للمجتمع الجاهلي لضرورات مجتمع متحضر،والواقع انه في اصل جميع الحضارات فالاطراد يلازم الحضارة والطاقة الحيوية،لكن القدرة على التكامل والانسجام ليست نفسها بالضرورة تكون متشابهة لبعضها البعض وهي مختلفة باختلاف مراحل الدورة الحضارية بالعكس فان ظروف هذا الانسجام لا تراعي بالطريقة نفسها في جميع الحضارات ومن اجل تفحص حالة من تكييف الطاقة الحيوية نأخذ عينة من مجتمعين مختلفين من جهة ومن جهة مجتمع واحد ولكن في عصرين مختلفين.فلقد طرح المجتمع الإسلامي مشكلة الخمروهذا عن طريق نص التحريم الوارد في الشرع وفي المقابل نجد صورة مشابهة لها تقريبا في الولايات المتحدة حيث أدخلت الولايات سنة 1919 تحريم الخمر في الدستور الأمريكي ، غير أن مانلاحظه من رد فعل المسلمين إزاء تحريم الخمر يختلف تماما مع ردة فعل المجتمع الأمريكي،فالبرغم من مرور أربعة عشر قرنا على التحريم فهو لم يثير اية صدمة عنيفة او قوية،بينما في الولايات أثيرت موجة من الغضب والاحتجاجات وتحطيم الممتلكات كما تبعتها التجارة الممنوعة وتكوين مجموعة من اللصوص والاشرار وقد استمر الحال على نفسه الى غاية الغاء قانون التحريم بموجب قانون التعديل رقم 21 المصادق عليه في ديسمبر 1933 (مثال عن تباين المجتمعات) اما عن المجتمع الواحد فهو مانلاحظه اليوم في المجتمع الإسلامي حيث تراجعت فكرة التمسك بالدين وكذا بشرب الخمر حيث نري اليوم في مجتمعاتنا انه بين خمارة وخمارة اخري يوجد خمارة ثالثة فالمسلم لم يطرد فطرة الخمر من عالم الأفكار بل تم طردها من عالم الأشياء وهو الشيء الخطير جدا والدليل احتفاظ هذه الفكرة بقدرتها على التكيّف، ومن خلال هذا التحليل يمكن ان نستنتج فكرتين

أساسيتين وهما :ان قدرة اية فكرة على التكييفليست متساوية في مجتمعين مختلفين من حيث الثقافة (العادات والتقاليد) (مالك، ميلا د مجتمع، 2009، الصفحات ص 105-106-112) وفي المجتمع الإسلامي نفسه فإن القدرة على التكييف تتغير من مرحلة إلى أخري ولعل الدليل القاطع على أن المسلم اليوم يعيش فراع داخلي وانعدم الطاقة الحيوية فيه هي تلك الحالة التي يعيشها بعض المسلمون أثناء وبعد صلاة الجمعة، حيث يستمع المسلمون لهذه الخطبة وكلمات الإمام تزلزل كيان المستمعين وغالبا ما نري أحد المصلين غارقا في دموعه، ولكن وبمجرد ان يتخطى عتبة المسجد ينتقل من حالة الى اخري ومن هنا نستنتج أن المسلم اليوم يعاني من انفصال بين العنصر الروحي والعنصر الاجتماعي،هذاالإنفصال الذي مزق شخصيته إلى شطرين شطر ينظم سلوكه داخل المسجد وشطر ينظمه في الشارع (مالك، شروط النهضة، 1979، صفحة ص87 انظر ميلاد مجتمع ص108)

فالمسلم اليوم اذ أراد أن يبني نفسه بنفسه فما عليه إلّا أن يستعير ويستمد من غرائزه طاقته الحيوية اللازمة لأداء نشاطه في التاريخ،وبالمقابل يمكن لنفس هذه الطاقة الحيوية أن تهدم المجتمع مالم يتم تكييفها بصفة إيجابية(معناه إضافة شيء جديد إيجابي والمراد بها عند مالك بن نبي هو تنظيم هذه الطاقة وإعادة توجيهها فتتحول من طاقة ذات وظائف بيولوجية خالصة هدفها حفظ النوع والبقاء إلى وظائف اجتماعية يؤديها الإنسان حيث يساهم في النشاط الاجتماعي المشترك، ويرى مالك بن نبي أن فكرة الطاقة الحيوية كانت لدى إنسان الفطرة لذا كان له استعداد لدخول الحضارة وهو الإنسان المسلم البدوي الذي جعلت منه هذه الطاقة إنسانا متحضرا ومحضرا حيث أظهرت الفكرة فاعليتها ودورها في إعادة تنظيم وتوجيه حياة المسلمين (مالك، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، 1979، الصفحات ص42-44)، ان الدليل القاطع على أهمية الطاقة الحيوية ودورها الفعال في بناء المجتمع وتربيته هو تلك الحالة التي كان يعيشوها المسلمون في وقت الرسول (ص) اذ بمجرد أن يرى الصحابة ان نبي الله مشغولا في مواجهة الحروب ،كانوا الصحابة يتبرعون له عن طيب خاطر و بمحضي ارادتهم جزءا من اموالهم الخاصة وهو شيء جميل،والاجمل هي تلك الكلمات الطيبة

المعبرة التي كان يقولها سعد بن عبادة(سعد بن عبادة :صحابي اسلم مبكرا وعاش الى جانب الرسول ومات سنة 635 في بلاد الشام ويذكر المورخون ان الجن قتله المقصود بالروح : هي تلك الغرائز المروضة المعدلة بفضل الفكرة الدينية) يا رسول الله خذ من اموالنا ماشئت وما أخذته منها أحب إلينا مما تركت)نفهم من هذا المثال كيف ان الطاقة الحيوية كانت في صورة غريزة تملك الأموال لتتحول الى طاقة محكومة.ولو بحثنا عن سبب نجاح هذه الطاقة الحيوية وفي هذه الفترة بالذات نجد ان الفضل يعود الى الفكرة الدينية التي تشكل عامل موثر في نفوس المسلمين حيث أن العلاقة بينهما هي علاقة طردية بحيث كلما كانت الفكرة الدينية قوية وراسخة نابعة من القلب والايمان الصافي،حينها تنتظم الطاقة الحيوية .

وإلا فكيف لبلال بن رّباح أن يصبر ويقاوم سياط العذاب الشديد وهو يردد (احد احد) فصيحة بلال هي صيحة الروح التي تحررت من الغرائز بعدما سيطرت عليها غريزة العقيدة بصفة نهائية (قوة ايمانه بوحدانية الله وان محمد رسول الله، هذه هي الطاقة الحيوية التي جعلت بلال لا يتحدث بلغة اللحم وانما بلغة الروح (الطاقة الروحية) وهي فترة شهدت فيها الحضارة الإسلامية ترويض للغرائز والروح كذلك هي التي تركت الزانية تذهب الى رسول الله وتطالبه بإقامة الحد عليها معلنة عن خطيئتها وهذا بفضل تغلبها على غريزتها فهذه الوقائع جميعها تخرج عن معايير الطبيعة،وتدل على ان الغريزة قد كبتت غير انها ظلت محتفظة بنزوعها الى التحرير (مالك، شروط النهضة، 1979، صفحة ص84).

فالمسلم اليوم اذا أراد ان يدخل التاريخ فما عليه إلا أن يعيد تنظيم طاقته الحيوية وتوجيهها وهذا بتنظيم تعليم القران تنظيما روحيا نفسيا وليس شكليا اجتماعيا ، وثاني شيء هو تحديد رسالة المسلم ووجهته وهو ما أشار إليه في كتابه وجهة العالم الإسلامي فعلى المسلم أن يحتفظ بأخلاقه ،حتي وإن عاش في مجتمع لا يتفق مع مبادئه وتربيته،كماأنه يستطيع أن يواجه على الرغم من فقره وثراءه مسؤولياته مهما كانت ظروفه الأخلاقية والاجتماعية وبهذه الطريقة يستطيع أن

ينشئ وسطه الخاص به حيث يؤثر على الظروف الخارجية كما كانوا بعض الرجال اللذين عاشوا مع النبي أيام الإسلام الأولي

4.الخاتمة

إن كل أعمال مالك بن نبي الفكرية سعت لحل مشكلة الحضارة التي يعاني منها العالم الإسلامي بصياغتةلرؤية جديدة تستمد معالمها من الخصوصية الثقافية للمجتمع الجزائري ،.وما نستخلصه من دراساته التي جمعها تحت عنوان "مشكلات الحضارة" أنّه ركّز على العامل الإنساني من حيث أنّه سبب المشكلة الحضارية التي نشهدها. ومن أجل هذا حاول إيجاد الآليات التي من شأنها أن توقظ العالم الإسلامي من سباته الذي دام قرونا من الزمن بالتركيز على تفعيل دور الإنسان من خلال ما أسماه ب"الاستثمار الاجتماعي"وليس المالي.ومن أجل الوصولإلى إعداد فرد فعّال فإنه يجب اخضاعه ، لعملية التكييف التربوي الذي ينقله من وضعية الفرد الخام إلىوضعيةالفرد المكيّف المتكامل.

وقد ربط مالك بن نبي ارتباط وثيق بين التربية كأداة، والثقافة كمحتوى تربوي، والحضارة كمنتوج تربوي؛ إذ يصبح الفرد النموذج الذي يمثّل التجسيد الفعلي لثقافة ذلك المجتمع في سلوكه اليومي. ومن منظور آخر، فإنّ التربية هي عملية إدماج الفرد في المجتمع وتأهيله لأداء دوره الاجتماعي المتلائم مع استعداداته الفطرية ومهاراته الخاصة، أي أداء وظيفته التاريخية والدخول في شبكة العلاقات الاجتماعية. ويتم هذا بزرع الاستعداد النفسي والتربوي عندئذ سوف يترقى سلوكه فيتخلى عن تلك السلوكيات والعادات المنافية للنزعة الاجتماعية، ويتحلى بسلوك أكثر توافقا مع نزعته الاجتماعية هذه.

فدور التربية كما أشارنا إليه يتلخص في تحضير المسلم لأداء دوره الاجتماعي ليصبح فعالا في مجتمعه يدفعه ويسير به قدما في المسار الحضاري، ؛ وهذا لكي يصبح الفرد المسلم قادرا على الابتكار والإبداع والمساهمة وبشكل كبير في بناء حضارة المجتمع الإسلامي.

5.قائمة المراجع والمصادر

1. -مالك بن نبي شروط النهضة: بإشراف ندوة مالك بن نبي .ت عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي دار. الفكر دمشق سوريا ط3.سنة 1979
2. - ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الإجتماعية ج1 (مشكلات الحضارة) ت عبد الصابور شاهين دار الفكر دمشق ط9: سنة 2009
3. ابراهيم الفقي: الطاقة البشرية والطريق الى القمة ، دار الراية للنشر والتوزيع ،جمهورية مصر العربية
4. -احمد الزغبي: المعجم الفلسفي ' دار الاثار ط1 سنة 1996أحمد الزغبي: المعجم الفلسفي ' دار الاثار ط1 سنة 1996
5. --حسان عبد الله حسان : التربية الحضارية عند مالك بن نبي وتطبيقاتها التربوية ضمن سلسلة علماء وافكار ،
6. -سليمان الخطيب فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي دراسة اسلامية في ضوء الواقع المعاصر سنة 1993
7. سورة الصف - الآية 4
8. -عبد الرحمن ابن خلدون : المقدمة الامام عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ,درويش الجويدي المكتبة العصرية صيدا-بيروت الفصل الثالث
9. –عمر كامل مسقاوي: في صحبة مالك بن نبي (مسار نحو البناء الجديد) الجزء الثاني ، دار الفكر دمشق ، ط1
10. -محمد لبيب النجيحي:دور التربية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية للدول النامية ط2 دار النهضة العربية بيروت،
11. جريدة الصوت الاخر :الصادرة يوم الاحد 10ابريل 2016
12. :الموقع الإلكتروني لمركز "كارما" للجراند ماستر أحمد شعبان : البريد الإلكترونيmedical@dworldf.com: او https://www.karmaacademy.org